

الذي مع عليّ

2020-03-11 موقع الامام الشيرازي

في النكبات والأزمات حيث الحاجة الماسّة للتغيير والإصلاح، خاصة، الجانب المهم الذي ينبغي التركيز عليه هو الرابط الرسالي/المبدئي الذي كان ولا يزال المكون الأساسي والوحيد في إنشاء أي كيان اجتماعي/إسلامي، وعلى هذا مضى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركة الجمل، فسالت دماء لا لشيء إلا أن بعضاً انخدع برابطة "أم المؤمنين" بينما كان شعار الإمام (عليه السلام): (إعرف الحق تعرف أهله). وترسخ هذا المبدأ بقول الإمام الصادق (عليه السلام): (ولايتي لعلي بن أبي طالب أحب إليّ من ولادتي منه، لأن ولايتي له فرض، وولادتي منه فضل) (بحار الأنوار/ج39/ص299). وهذا يعني أن الانتساب/الانتماء إلى عليّ هو مبدأ وعمل قبل أي شيء آخر.

ومبدأ عليّ فهو قول عليّ لصاحبه العابد الصالح، همّام، حينما سأل "يا أمير المؤمنين، صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه". فكان مما أجاب (عليه السلام) أن المؤمن (لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة. عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك، ولا يتجبر، خالص الود وثيق العهد، وفي العقد، شفيق وصول حلیم حمول قليل الفضول). وقال: (إن رأى خيراً ذكره، وإن عاين شراً ستره، يستر العيب، ويحفظ الغيب، ويقبل العثرة، ويغفر الزلة). وقال: (قنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، ووده يعلو حسده، وعفوه يعلو حقه، لا ينطق بغير صواب). وقال: (أعماله ليس فيها غش ولا خديعة).

أما عمل عليّ فحكومته التي امتدّت في أرجاء الشرق الأوسط كلّه وقسم من أوروبا وإلى عمق أفريقيا، فلم يكن فيها قتيل سياسي واحد، ولا سجين سياسي واحد، ولا مُنع حتى شخص واحد من الخروج في تظاهرة ضد الدولة، ولم يستخدم السلاح إلا للدفاع، أي إذا تعرّض لهجوم مسلح فقط، ولم يستخدم القوة أبداً في الردّ على من هاجمه بسبّ أو عارضه بكلمة، وفي طول حكومته لم يوجد شخص واحد استأجر داراً للسكنى، ولا فقير ولا ذليل، ولم يوجد شاب لم يتزوَّج لأن لا مال له، ولا بنت لم تتزوَّج لأن لا مال لها. ولا يوجد في حكومة عليّ أن شخصاً واحداً قال "لم أنم ليلة واحدة خوفاً من الحاكم عليّ بن أبي طالب، وليس في حكومته متسلط، ولا فاسد، ولا فاشل، ولا سفاح. هذا

عليّ بن أبي طالب، فأعرفوا مَنْ هو المفسد، ومن الذي يريد الإصلاح.

عليّ والذي مع الحق

الرؤية السطحية أو التفكير السطحي هو تعبير عن نسق فكري/سلوكي من النظر إلى تفسير الوقائع والأحداث والتعامل معها، وهذا النوع عادة ما يوصف صاحبه بأنه خامل الذهن أو غارق في اللامبالاة أو الإهمال. بالتالي، فإن حكم السطحيين على مجريات الأحداث، حتى التي قريبة منهم والتي حولهم، يستند إلى نظرة ساذجة أو آراء مسموعة أو أحكام موروثية، أي بكلمة أخرى أن صورة نمطية تُقيد نظره وتُلجم عقله.

وعادة الذين ينظرون إلى الأحداث والأمور برؤية سطحية لا يتوقفون عند نظرتهم تلك، بل لا يترددون في إعلان تقييم للأشخاص والمواقف، وإن كان وفق منظارهم القاصر وتصورهم المحدود، في حين أن الظواهر (ما يبدو من الأحداث والأشياء) ليست هي المقياس الصحيح، فإن ظاهر الشخص ليس مقياساً أو معياراً لحقيقته، فلكل واحد ظاهران خارجي، وآخر باطني أي جوهره. والمريض عندما يراجع طبيباً، فإن الأخير يجري له فحصاً ظاهرياً، وقد لا يتمكن تشخيص حالة المريض بدقة، لكن حينما يفحصه الطبيب المتخصص، بالاستعانة بالأجهزة والتحليلات، فإنه سيقف على كل تفاصيل حالة المريض وتحديد علاجها.

وقد أشار الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد إلى أصحاب النظرة السطحية كيف ينظرون إلى ظاهر الدنيا وهم غافلون عن الآخرة، قال سبحانه (أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ/الروم/8).

في حين ينبغي للإنسان ألا يكتفي بالظواهر أو النظرة السطحية، وأن يُقلِّبَ الأمور ويتفحص الأحداث. كما ينبغي على المؤمن الحصيف/الواعي أن يتدبر في الأشخاص، ليعرف صدقهم من كذبهم، وخيرهم من شرهم، ودينهم من نفاقهم، وإذا ما اعتمد ذلك فإنه يمكن أن تتغير الكثير من الأشياء في حياته.

ينقل الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) خبر الرجل الذي تردد في يوم الجمل في أمر علي بن أبي طالب (عليه السلام) وطلحة والزبير وعائشة، حيث نظرته السطحية جعلته يتيه في ظواهر الأمور ثم أقصته عن حقيقة الأحداث، يقول:

لم يكن أصحاب علي في طريقه الى البصرة شاكين ولا مترددين، إلا ما كان من أمر أبي موسى، وقد ظهر أن أهل البصرة لا يشاركونه في رأيه، وإنما أراد أفراد أن يستوثقوا لأنفسهم في أمر دينهم وفي أمر آخرتهم خاصة.

فسألوا علياً عما كان يريد من شخوصه وإشخاصه إياهم إلى البصرة، فكان يجيبهم بأنه يريد أن يلقي بهم إخوانهم من أهل البصرة، فيدعوهم إلى الصلح، ويبيّن لهم الحق وينظرهم فيه، لعلهم أن يثوبوا فتجتمع الكلمة وتلتئم وحدة الجماعة.

وقد سأله رجل منهم ذات يوم: أيمكن أن يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على باطل؟ فقال (عليه السلام): (إنك لملبوس عليك، إن الحق والباطل لا يُعرفان بأقدار الرجال، إعرف الحق تعرف أهله، وإعرف الباطل تعرف أهله).

وعن هذا الجواب لأمير المؤمنين (عليه السلام) يقول طه حسين: وما أعرف جواباً أروع من هذا الجواب الذي لا يعصم من الخطأ أحداً مهما تكن منزلته، ولا يحتكر الحق لأحد مهما تكن مكانته بعد أن سكت الوحي وانقطع خبر السماء. (ج 2 / فص 10 / ص 48).

وفي الأمالي للشيخ الطوسي: قال: دخل الحارث بن حوط الليثي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين، ما أرى طلحة والزبير وعائشة احتجوا إلا على حق؟

فقال (عليه السلام): (يا حارث، إنك إن نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحق، إن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق باتباع من اتبعه، والباطل باجتنب من اجتنبه).

قال: فهلا أكون كعبد الله بن عمر وسعد بن مالك؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن عبد الله

بن عمر وسعد أخذلا الحق ولم ينصرا الباطل، متى كانا إمامين في الخير فيتبعان؟! (ص ١٣٤).

وفي حرب الجمل، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) للزبير وطلحة: (نشدتكما بالله، أتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشة بنت أبي بكر أن أصحاب الجمل وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وآله)، وقد خاب من افتري). فقال الزبير: "كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة؟" فقال عليّ (عليه السلام): (لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم).

فقال الزبير: أما سمعت رسول الله يقول يوم أحد: "أوجب طلحة الجنة، ومن أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض حيا فلينظر إلى طلحة أو ما سمعت رسول الله يقول: عشرة من قريش في الجنة". فقال عليّ (عليه السلام): (فسمهم). قال: فلان وفلان وفلان، حتى عد تسعة، فيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. فقال عليّ (عليه السلام): (عددت تسعة، فمن العاشر؟). فقال الزبير: "أنت".

فقال علي (عليه السلام): (أما أنت فقد أقررت أني من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فإنني به لمن الجاحدين. والله إن بعض من سميت لفي تابوت في جب في أسفل درك من جهنم، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخرة فأسعرت جهنم. سمعت ذلك من رسول الله، وإلا فأظفرك الله بي وسفك دمي بيدك، وإلا فأظفرتني الله بك وبأصحابك). فرجع الزبير إلى أصحابه وهو يبكي.

<http://alshirazi.com>